**المحاضرة السادسة : العلاقات مع الممالك النصرانية**

**تمهيد :**

شهدت الأندلس على مرّ العصور تواجد سلطة مسلمة لها علاقات مع كيان نصراني مسيحي له هو أيضا سلطة سياسية و نظام عسكري و لم تكن سلطة واحدة – و لكن معظم هذا الكيان كان مستقرا في شمال الأراضي الاسبانية ، مما جعل بعض الدراسات تطلق على هذا الكيان مصطلح الممالك الشمالية ، أو ممالك شمال اسبانيا و نجدها في بعض الدراسات بمصطلح – الممالك النصرانية أو الممالك المسيحية – أما معظم المصادر الأندلسية أو المسيحية في العصر الوسيط فتطلق عليها : النصارى أاو ملوك النصارى .

**1- لمحة عن نشوء الممالك النصرانية :**

استطاع المسلمون بعد فتح الأندلس 92 ه و بعدها أان يبسطوا سيطرتهم التدريجية على سائر أنحاء الأندلس ( شبه جزيرة إيبيريا ) ما عدا بعض الأشرطة الضيقة في أقصى الشمال الغربي في المنطقة المسماة جليقية و المتميزة بوعرة تضاريسها و صعوبة الدخول إليها .

و لم تكن التضاريس العامل الوحيد الذي أوقف عملية الفتح ، و إنما هناك عوامل أخرى كثيرة ، و معظم الباحثين يعتبرون استدعاء موسى بن نصير إلى دمشق و الاضطراب الذي وقع بعده في الأندلس السبب في توقيف عملية الفتح لأنه سمح للنصارى بالفرار نحو الشمال و إعادة ترتيب صفوفهم .

ليستقر النصارى الفارون من جيش الفتح في جبال اشتوريس في اسبانيا لحصانتها الطبيعية .

و هناك التقى النبلاء و رجال الدين و ما تبقى من رجال لوذريق و بعض السكان الأصليين في هذه الجبال و هم مجرد قبائل أوروبية غير منظمة و فكروا في اتخاذ نظام سياسي يسهل لهم التخطيط العسكري و استعادة ما خسروه من أراضي أمام المسلمين و اتخذوا زعيما يدعى بلاي و لم تذكر المصادر التاريخية أصله بالتحديد .

- فمنهم من قال أنه – قوطي – و منهم من ذكر بأنه من سلالة ايبيريا الذين حكمهم القوط و فريق آخر ذكر أن بلاي من النبلاء له صلة بالدوق كونت فري هذا الذي خول له صلاحيات الزعامة وفريق أخر ذكر أن بلاي لما هرب من الفتح كان يحمل معه سيف لوذريق ، و هذا خول له الزعامة .

و فريق آخر ذكر أنه كان من أسرى القوط عند النصارى و أثناء فراره وجد في طريقه بعض ما يعطيه في عرف النصارى الحرية لحملة سيف لوذريق أو بعض أشياء الملك .

و هذا ما جعل النبلاء و رجال الدين يختارونه زعيما لذكائه.

بعد تولي بلاي الزعامة على الجماعات النصرانية اتخذ قرية أو ذي أأونيس عاصمة له و تذكر بعض الدراسات أنه طلب السلم و الأمن من المسلمين فوافقوا و دخلوا معه في علاقات سلمية نظرا لاضطراب أحوالهم الداخلية .

**أ- مملكة ليون**

ترتبط مملكة ليون (في بعض الدراسات ) بأساطير غامضة حول تأسسيها والمتفق عليه أنها تأسست في القرن 8 م /2 ه بعد وفاة بلاي .

حيث خلفه ابنه قافيلا – حكم سنتي – حيث تعرض لهجوم من دب مفترس أثناء رحلة الصيد لم يخلف وليا للعهد ،ووافقت وفاته وفاة بيدرو – أمير وصهر بلاي – وخلف بيدرو ابنه الفونسو الذي أصبح الوريث الشرعي للعرش ولم يتوج كزعيم من قبل النصارى بل توج ملكا .

توحدت تحت سلطته إمارة استوريوس وإمارة كونت باري واستطاع توحيد المملكتين ، وتوسيع نفوذه على حساب العديد من المناطق الإسلامية .

ولم يبد أهل الأندلس أي مقاومة نظرا للعدد المحدود للمسلمين الفارين من أماكن توسع النفوذ ونظرا لصعوبة التضاريس ، كما أن أغلب البرير قد عادوا إلى شمال إفريقيا

إضافة إلى كارثة المجاعة التي أصابت شبه الجزيرة لمدة خمس سنوات والحروب الأهلية ، إضافة إلى تعود بربر بلاد المغرب على الفلاحة ، ورأوا أن تضاريس المنطقة ، غير صالحة للفلاحة فانسحبوا إلى بلاد المغرب من جديد ، اهتمت مملكة ليون باتفاق يضم الملك وطبقة النبلاء ورجال الدين دون الاهتمام ببقية الرعية ،إيمانا منهم بأن اتفاق هذه الأطراف الثلاثة يؤدي بالمملكة إلى الاستمرار ويعطيهم القوة لمجابهة الخطر الخاريجي ، إلا أن هذا لم يمنع من توتر العلاقات بين طبقة النبلاء والملك بعد موت الفونسو وتولي ابنه رذمير الحكم لكن سرعان ما أخمد الفتن التي اشتعلت ضده واهتم بتنظيم شؤون مملكته .

**ب- مملكة نافار(نبرة):**

ظهرت ككيان سياسي مستقل في أوائل القرن 3 هـ /9 م وهي ممكلة ضعيفة الشأن بالنسبة للمالك الأخرى فهي صغيرة المساحة ، تقع غربي جبال البرنيه وإلى الشرق من جبال كونسافار على أبواب فرنسا .

وتعتبر هذه المملكة الصغيرة الحد الفاصل مبين الكيان السياسي لبرشلونة ومملكة ليون يلقب سكانها ( الباسكو فاروس) وهو المصطلح الذي اشتق منه مصطلح الباسك الحالي ، أما

المسلمون فقد أطلقوا عليهم – البشكنس- نسبة إالى لغتهم ، اتخذوا مدينة بنبلونة عاصمة لهم لشدة حصانتها .

وتأسست هذه المملكة كرد فعل على الممالك المسيحية على أنهم شعب مستقل الهوية عن شعوب هذه الممالك وقد تعرضوا للكثير من الضغوطات العسكرية من أجل الإخضاع وكانت هذه الضغوطات على جهتين.

- جهة الممالك الشمالية ، ومن جهة الجنوب بفعل الأمويين ، ولم تتضح معالم هذه المملكة بشكل جدي ومنظم إلا في عهد الملك الذي عرف في المصادر الإسلامية باسم ونجة بن شانجا ملك البشكنس .

فقد وضع هذا الأخير القواعد الرئيسية في التنظيم السياسي والإداري وحاول الاهتمام بالجيش كقوة عسكرية . ذكرت بعض الدراسات أنه ينحدر من أسرة عريقة في الحكم ، لكن ليست هناك مصادر توثق ذلك.

**ج- مملكة قاطالونيا( برشلونة ):**

هناك من يذكر اسم المملكة بقاعدتها برشلونة وهناك من يجعل برشلونة جزءا منها .

أماعن اسم قاطلونيا فقد تضاربت الآراء في هذه الأمر .

فهناك من جعلها مشتنقة من مراسيم شعوب قديمة سكنت المنطقة قوطية تسمى كاستيلان وتمتد جذورها الجغرافية من جبال البيرنيه في الشمال إلى حدود ولاية بلنسية في الجنوب أطلقوا على سكانها اسم ( القصلان ) ولغتم تختلف على اللغة الاسبانية .

افتتح المسلمون هذه الأراضي في عهد موسى بن نصير لكن توالى الهزائم على المسلمين استطاعت هذه القبائل والشعوب النصرانية استرجاع أراضيها وتأسس مملكة مستقلة لها .